

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[129] المحسنين). وهذا ما يقوله الكافر - أيضاً - حينما تقوده الملائكة الموكلة بالذّار نحو جهنم، وترى عيناه نار جهنم ومنظر العذاب الأليم فيها، وهنا يتأوه من أعماق قلبه ويتوسل لكي يسمح له بالعودة مرّة أخرى إلى الحياة الدنيا ليظهر نفسه من الأعمال السيئة والقبيحة بأعمال صالحة تهينه وتعدّه للوقوف في صفوف المحسنين والصالحين. والملاحظ أنّ كلّ عبارة من هذه العبارات الثلاث يقولها المجرمون عند مشاهدة مشهد معين من عذاب يوم القيامة الرهيب. حيث أنّهم يتحسرون على ما فرطوا في جنب الله فور دخولهم ساحة المحشر. ويتمنون لو أنّهم فازوا بما فاز به المتقين، عندما يرون الثواب الجزيل الذي أغدقه الباري عزّ وجلّ على عباده المتقين. ويتوسلون إلى الباري عزّ وجلّ ليعيدهم إلى الحياة الدنيا ليصلحوا ماضيهم الفاسد، عندما يرون العذاب الإلهي الأليم. القرآن المجيد يردّ على القول الثّاني من بين الأقوال الثلاثة إذ يقول: (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)(1). إنّ قولك: لو كانت الهداية قد شملتني لأصحت من المتقين، فما هي الهداية الإلهية؟ هل هي غير الكتب السماوية ورسله، وآياته وعلاماته الصادقة في الآفاق والأنفس؟! إنّك سمعت بأذنيك وشاهدت بعينيك كلّ هذه الآيات، فما كان ردّ فعلك إزاءها غير التكذيب والتكبر والكفر! ————— 1 - رغم أنّ المتحدّث هي النفس وهي مؤنث، وأنّ القرآن أورد أوصافها وأفعالها بصيغة المؤنث في آياتها، ولكن في هذه الآية ورد ضمير (كذبت) وما بعدها بصيغة المذكر، وذلك لأنّ المقصود هنا هو الإنسان، وقد قال البعض: إنّ (النفس) يمكن أن تأتي بصيغتي المذكر والمؤنث.